الفصل الرابع

أسباب البلطجة

إن ظاهرة البلطجة ليست ظاهرة مستقلة عما يعتري المجتمع من تغيرات جذرية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فاللجوء إلى العنف بدافع إجرامي بحت هو بلا شك نتاج لمتغيرات تراكمت على مدي العقود الأخيرة من تاريخنا، وانفجرت أخيرًا في وجهنا تساؤلات كثيرة عن العوامل التي أدت إلى ظهور هذه الظاهرة، وزيادة معدلاتها في الشارع المصري، فالبلطجة ظاهرة معقدة ولها أسباب متعددة ومتفرعة، ولعلاجها أو التعامل معها لابد من تحديد الأسباب وفهمها، ومن هذه الأسباب ما يلي:

1. عوامل بيئية

إن الشخصية الإنسانية هي بدرجة كبيرة انعكاسًا للواقع الثقافي الذي يعيشه الفرد. فالمجتمع وثقافته بما يخلقانه من أشكال التفاعل الإنساني وبما ييسرانه من ظروف لنمو الشخصية وتشكلها، يمثلان محددات رئيسة لبناء الشخصية. فالإنسان (الشخصية) كائن حي، اجتماعي وتاريخي، يشتق الكثير من حياته من التركيبات الاجتماعية والتاريخية، وهو كائن محكوم ببعدي الزمان والمكان، يكون أسلوب حياته انعكاساً لثقافة عصره (طلعت منصور، 1982، 419).

لذلك كان اهتمام علماء النفس بآثار البيئة على السلوك ملتحمًا بالمبدأ الرئيسي لنظرية التعلم منذ نشأتها المبكرة من خلال المعادلة التي وضعها

«واطسون»، وهي أن السلوك عبارة عن وظيفة الشخص مضروباً في البيئة، أي أن الشخص باستعداداته المختلفة يعيش في إطار بيئي، ويتبادل كلاهما (الشخص والإطار البيئي) التأثر والتأثير المتبادل.

بل إن تأثير الثقافة Culture والبيئة أحد أكثر الموضوعات إثارة للجدل، حيث إن الأنماط المختلفة من الثقافات من شأنها إنتاج أنماط مختلفة من الشخصيات متسقة مع النمط الثقافي الذي نشأت في ظله، وبالتالي يمكن فهم السلوك الإنساني فهماً أفضل إذا ما عرفنا طبيعة المناخ الثقافي الذي يحدث في إطاره هذا السلوك. وتميل البحوث والدراسات التي اهتمت بدراسة ظاهرة البلطجة إلى العوامل البيئة كمسببات أساسية للظاهرة، والتي تدخل ضمن إطار علم النفس النمائي الذي يصف مجموعة من الفروض بدلاً من نموذج نظري محدد، حيث يهتم بالعوامل الأساسية في البيئة والتي تؤثر في النمو سواء سلبًا أو إيجابًا.

وقد أوضحت بعض الدراسات الاجتماعية أن الازدحام في المناطق الشعبية يكون من بين العوامل التي تساعد على انتشار الجريمة والأمراض النفسية والشذوذ. وفي الأماكن المزدحمة قد يستجيب الناس إلى الازدحام بالهروب من المكان إذا كان بمقدورهم ذلك، أو بالعدوان والإحباط، وقد تكون الاستجابة بالتكيف للموقف (عبد الستار إبراهيم، 1985، 217). وعلى الرغم من أن تعريفات البلطجة تركز على السلوك العدواني الفردي إلا أن الواقع يقول أن الظاهرة تعمل في سياق اجتماعي، كما أن العديد من الطلاب قد يتورطون في شكل من أشكال البلطجة كنوع من التجربة لتجنب المضايقات التي يتعرضون لها من قبل الآخرين خلال السنة الدراسية.

كما بينت بعض الدراسات أن الأفراد الذين يتسمون بسلوكات البلطجة لديهم نقص في مهارات السلوك الاجتماعي، ومن أجل تخفيف حدة التوتر لديهم فإنهم يلجئون إلى هذا السلوك (Derosier, 2004).

وهكذا بيت الدراسات أن نشأة الفرد في المجتمع تجعله معرضًا لعديد من المثيرات التي تؤثر فيه وتشكله تشكيلاً خاصًا. فالفرد الذي يولد في مجتمع يؤمن بالقوة والعنف و يستهين بالمثل والخلق، يتأثر بهذه المعايير و يشب متماشيًا مع مجتمعه، بعكس من يولد في مجتمع مسالم يحترم القانون والخلق.

2. عوامل بيولوجية

الوراثة أحد أهم العوامل الهامة المسببة للبلطجة. وهناك قول قديم أن «وصمة الإجرام تجرى في عائلات معينة»، وتؤكد ذلك الدراسات التي أجريت على التوائم والتي وجدت أن الاتفاق في الإجرام بين التوائم المتماثلة أكثر من التوائم غير المتماثلة، حيث تذكر إحدى الدراسات أنه إذا كان أحد التوائم مجرمًا كان الآخر مجرمًا بنسبة ثلاثة من كل أربعة، بينما في التوائم غير المتماثلة بنسبة واحد من كل أربعة.

كما لوحظ شذوذ في الصبغيات الوراثية Chromosomal Abnormalities حيث يزيد عدد الصبغيات إلى 47 بدلاً من 46 و يصبح تمييزها الجنسي (xyy) أو (xxy) ولوحظ أن السلوك العدواني والمضاد للمجتمع يكثر لديهم خاصة في النوع (xxy) الذي تكثر لديه الذكورة التي تجنح إلى السلوك العدواني، و يصاحب العدوان لديهم باضطراب في العاطفة ونقص في الذكاء.

وقد ركزت دراسات جينوميا الجريمة (استخدام هندسة الجينات للتعرف

على السلوك العدواني للأشخاص) على دراسة الحركات الجينية الفجائية، وقياس مدى تأثيرها على التعبير الجيني من خلال استخدام الموجات الجينية (موجات يتم إنتاجها باستخدام الأجهزة الإلكتروجينية)، وقد أظهرت الدراسات الأولية لجينوميا الجريمة والتي أجريت على أكثر من 1000 عينة من ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية أن بعض الأشخاص لديهم الاستعداد الوراثي لارتكاب الجرائم، ومن ثم فإن قليلاً من التوتر لهؤلاء الأشخاص قد يؤدي بهم إلى ارتكاب الجرائم، أما الأشخاص الآخرون فليس لديهم الاستعداد الوراثي لارتكاب الجريمة.

وعندما يدرس العلماء أمراضًا يرافقها سلوك معين فإن هذا لا يعني وجود فطرة أو آليات مخلوقة لهذا السلوك، بل يكون التصرف الجامح من التقلبات الفسيولوجية، فإذا حدث خلل في عدد الكروموزومات بحيث يصبح الشخص متخلفًا عقليًا فإن ذلك يؤدي إلى كثرة العنف والإجرام بينهم، ومنهم من يجنح جنسيًا، وعمومًا ليس كل تغير كيماوي أو تخلف عقلي مقرونين بالجموح. وإذا التذ مجرم بجريمة أو أدمن عليها فهو مريض (إبراهيم فريد، 1983، 364). ومع ذلك فليس هناك صلة مباشرة بين الانحرافات البيولوجية والبلطجة، ولكن بعض العوامل البيولوجية قد تجعل الفرد مهيئًا للسلوك الإجرامي مثل النمو والتنمية، أي الانحرافات المادية وغيرها من الظروف الناجمة عن المرض (Moses, 2011).

3. عوامل نفسية

الإحباط هو أولى العوامل النفسية التي تؤدي إلى انتشار سلوكات

البلطجة، وفقدان الأمل في المستقبل وعدم الحصول على فرصة عمل، ووجود علاقة ملتبسة بين المواطن والسلطة، حيث يحمل تجاهها مشاعر رفض وغضب وفي نفس الوقت يداهنها ويخشاها، فينفجر غضبه في أعمال عنف أو بلطجة ضد مواطنين مثله فيقهرهم، أو ضد زوجته وأولاده فيحيل حياتهم جحيمًا.

4. جماعة الأقران (الأصدقاء)

تعتبر جماعة الأقران من العوامل الهامة والأساسية للاندماج في أي سلوك. ويوضح عادل الأشول (1982، 498) أن ثقافة المراهقين تتكون من قيم متفردة يشترك فيها الأفراد الصغار ويؤيدونها، وبالتالي تعطيهم الإحساس بالانتماء لجماعة متطابقة، وتتضمن هذه القيم الأذواق في الملبس، أو اللهجة، أو الموسيقى، نشاطات أوقات الفراغ. كما نجدهم يستهجنون بعض النظم الاجتماعية وأصول وآداب السلوك والاحتشام واحترام السلطة.

إن جماعة الرفاق أو الأقران التي ينضم إليها الطفل منذ دخوله مرحلة الطفولة المتأخرة ومع التحاقه بالمدرسة الابتدائية، يكونون عادة من أطفال الجيرة أو من زملائه في المدرسة. وجماعة الرفاق جماعة يدين لها الطفل والمراهق فيما بعد بكثير من الولاء ويعتز بالانتماء إليها وبالتالي يلتزم بمعاييرها وبما تراه من أساليب مستحسنة أو مستهجنة من وجهة نظرها. وقد أكد كلاً من جيني وبوزولي Gini & Pozzoli (2009) على دور الأقران في تعزيز سلوك البلطجة أو الوقاية منه، كما أوضحا أن سلوك البلطجة يزداد انتشاراً في مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة، وأن الطلبة يمكن أن يمارسوا

سلوكات البلطجة كاستجابة لضغط الأقران، أو ربما لكسب الشعبية. وسرعان ما يصادق الشخص البلطجي رفاق السوء ويمارسون بشكل جماعي الاعتداء على الآخرين كالسرقة أو السلب أو اغتصاب أموال المارة.

5. عوامل أسرية

إن أنماط التفاعل داخل الأسرة لها تأثير على أنماط التفاعل بين الأقران، فالأشخاص الذين هم ضحايا للبلطجة هم أكثر عرضة لممارسة البلطجة، والأشخاص الذين ينتمون إلى أسر بها أفراد بلطجية مثل الأب أو الأخ الأكبر، من الممكن أن يتوحد الشخص مع هؤلاء الأفراد الذين ينتمي إليهم ويصبح هو الآخر بلطجيًا بالوراثة، وهؤلاء الآباء يكونون غالبًا معدومي الدفء العاطفي تجاه أبناءهم، ولذلك يخرج هذا الشخص إلى المجتمع المدرسي راغبًا في السيطرة على الآخرين وفرض سيطرته عليهم وخضوعهم له.

والله خلق في الإنسان استعدادًا للصلاح واستعدادًا للفساد، فأبواه يصلحانه، وأبواه يفسدانه، أي إن التربية تربو باستعداده جسمًا وعقلًا ونفسًا، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. فالإنسان لا حد لغايتيه رقيًا وانحطاطًا، فهو إن يشأ الكمال يبلغ فيه إلى مرتبة الملائكة، وإن شاء تلبس بالرذائل حتى أحط من الشياطين. فالتربية ملكة تحصل بالتعليم والتدريب والقدوة.

وتكون الأسر التي تتسم بالسلطوية في التربية كثيراً ما يظهر فيها هذا النوع من الانحراف، فالتربية التي تقوم على العنف والتعسف والقهر والتسلط ومصادرة الحرية، هي أقصر الطرق لتحطيم الفرد وتدمير المجتمع (يزيد السورطي، 2009، 9).

وتشير بعض الدراسات إلى أن البلطجة غالبًا ما تأتي من المنازل، فالأسرة هي الرحم الذي ينشأ فيه الفرد، وينمو ويكتسب ثقافته، ويشكل شخصيته ويستمد سلوكاته، وكثيراً ما يكون الفرد مثل عائلته التي غالبًا ما تكون بدورها مثل مجتمعها؛ لأنها تشكل مجتمعًا مصغراً، وتستمد التربية الأسرية أسسها ومبادئها من التنشئة الاجتماعية.

وعندما يتم استخدام العقاب البدني القاسي من قبل أولياء الأمور ضد أبنائهم، فتكون النتيجة أن هذا الفرد يريد أن يرد بالمثل ولكن مع أشخاص آخرين هم زملائه في المدرسة. علاوة على أن الطفل الذي نشأ في أسرة تتسم بالعنف سواء عنف عائلي أو عنف خارج الأسرة، يتعلم أن السبيل الوحيد لتسوية الخلافات مع الآخرين هو العنف، بالإضافة إلى عدم التوافق بين الوالدين، وكثرة المشكلات الأسرية، وعصبية الآباء لأتفه الأسباب، والشعور بالفشل في التقرب للوالدين والأقارب والأصدقاء.

علاوة على ذلك تساهل الوالدان مع الإبن صاحب السلوك العدواني، بالإضافة إلى أن بعض الآباء يبينوا لأبنائهم أن استخدام القوة وإذلال الآخرين هي سلوكات وطرق مقبولة للتعامل مع الآخرين. وقد بينت الدراسات أن اختلاف العلاقة بين الآباء والمراهقين قبل فترة المراهقة وبعدها أدت لوجود مشكلات نفسية وجسدية، وعدم توافق اجتماعي.

كما أن فقدان أحد الوالدين أو كلاهما بالموت، أو الانفصال قد يؤدي إلى ازدياد حدة الصراع الداخلي والتوتر مما يسهم أيضًا في تدعيم سلوك البلطجة. بالإضافة إلى أن العنف الأسري، وانتشار الفقر، ورداءة المسكن والتعليم،

وما شابه ذلك من جوانب للحياة على أسفل درجات السلم الاجتماعي تسهم بشكل كبير في انتشار سلوكات البلطجة (James et al, 2008).

6. إساءة معاملة الطفل ودورة العنف

يعرف فرج طه، وآخرون (2009، 133) إساءة معاملة الطفل Child Abuse بأنها: أي تصرف أو تعامل مع الطفل يظهر فيه اعتداء عليه، أو إضرار أو إيذاء بدني أو نفسي له؛ مثل ضربه بشدة و إحداث جراحات أو عاهات (على نحو ما تطالعنا به الصحف)، أو تشغيله دون سن العمل القانونية، أو الاعتداء الجنسي عليه، أو استغلاله في جرائم ضد القانون (كاستخدامه في الترويج للمخدرات أو نقلها أو بيعها، أو في السرقة أو النصب أو التسول...) أو طرد الطفل من الأسرة للشارع، أو إهماله وعدم الإنفاق عليه... إلخ.

ويعتقد المؤلف أن الأطفال الذين أسيئت معاملتهم يتعرضون لأحداث مستمرة تتحدى نموهم الطبيعي والسليم، بل وتؤدي إلى عدم توافقهم النفسي ببعديه الشخصي والاجتماعي، هؤلاء الأطفال الضحايا يشعرون بالتناقض بين الإحساس بالولاء لأسرهم والخوف منهم، ويعيشون دائمًا على أمل ألا تحدث الإساءة مرة أخرى.

وفي بعض الأحيان قد يتناقص العنف البدني ضد الطفل، لكن السلوك المسيء قد يتباين آخذًا صورًا لفظية متمثلة في السباب والشتائم و إطلاق ألقاب مسيئة للطفل، وقد يتناقص العنف البدني و يزيد الإهمال الذي يشمل عدم الرعاية الصحية، وطرد الطفل من المنزل، والسماح له بالتغيب المزمن عن المدرسة.

أيضًـا قد يتناقص العنف البدني وتظهر مكانه الإسـاءة الجنسـية Sexual abuse والتي يتعرض الطفل عن طريقها للعبث بأعضائه التناسلية واللواط، واسـتعراض الأعضاء التناسـلية أمامـه. كما يرى المؤلـف أن رد الفعل لهذه السلوكات المستخدمة ضد الطفل قد تظهر أثرها في مرحلة الطفولة المتأخرة وبدايـة مرحلة المراهقة، وقد يتمثل رد الفعـل في تعاطي المخدرات وألعاب القمار والبلطجة والعلاقات الجنسية غير المشروعة.

ويتفق معظم الباحثين على أن الغالبية العظمى من أطفال الإساءة يعانون من عجز في الانتباه مع ضعف القدرة على السيطرة على دفعاتهم، حيث إنهم يتصرفون في الغالب طبقاً لمشاعرهم العدوانية، بمعنى أن مشاعرهم العدوانية عادة ما تحرك سلوكهم أكثر ما تحرك فيهم الرغبة في التعبير اللفظي عن هذه المشاعر.

وقد درس شـتاينبرج steinberg ولامبورن Lamborn ودارلنج Darling وموانتـس Mounts ودورنبنـج Dornbusch (1994) النمـو لـدى الأطفال الذيـن تتراوح أعمارهم بين 14 - 18سـنة والذين ينتمون إلى أُسر تسـتخدم أسـاليب والدية حازمة، وتسلطية، ومتساهلة ومهملة، على مدى عام كامل، وقد ظهرت الاختلافات والمشـكلات لدى المراهقـين الذين تربوا في منازل يتجاهـل فيهـا الوالدين حاجـات أبنائهم بوجـه خاص. وقـد حدثت أبرز تأثيرات التربية الوالدية المضطربة أثناء الدراسة الثانوية، فقد أظهر هؤلاء المراهقون مشـكلات سـلوكية ونفسـية، وقد أظهروا على مـدى عام كامل تدهوراً مسـتمراً في الأداء، مع أشكال من الإخفاقات في العمل والاتجاه نحو المدرسـة، وزيـادة في الجناح وشرب الخمـور وتعاطي المخـدرات (ديفيد أ. وولف، 2005، 59 - 60).

ويستمر السلوك العدواني، وضبط النفس المنخفض، والعلاقات الاجتماعية المضطربة عبر مراحل النمو لدى الأطفال الذين تعرضوا للإساءة، فيصبح هؤلاء الأطفال أكثر عدوانا وبدرجة جوهرية تجاه أقرانهم. وتعرف العلاقة بين تعرض الفرد للإساءة كطفل وممارسة الإساءة تجاه الآخرين كراشد بفرض «دورة العنف» Cycle of violence hypothesis ويعني أن ضحايا العنف يصبحون من ممارسي العنف، وعندما يصلون إلى مرحلة الرشد يمكن أن تؤدي هذه الاختلالات النمائية الناتجة عن الإساءة للطفل إلى اضطرابات أكثر عمومية وإزماناً، وبوجه خاص اضطرابات المزاج، والسلوك المعادي للمجتمع. وقد أكدت الدراسات أن حوالي 30 % من ضحايا الإساءة للأطفال يحملون هذا النمط معهم إلى المراهقة والرشد ويميلون إلى النزوع إلى استخدام القوة والسيطرة كوسائل لحل الصراعات.

وعن معدل انتشار إساءة معاملة الطفل في المجتمع المصري أجريت دراسة في الفترة من فبراير 2003 إلى فبراير 2004 على عينة مكونة من 322 مريضًا ممن يترددون على العيادة النفسية بمستشفى الحسين الجامعي، وذلك من خلال المقابلة الإكلينيكية شبه المقننة حسب المواصفات التشخيصية للدليل الدولي العاشر ICD-10 واستخدام استبيان سوء معاملة الطفل لديفيد برنشتين David Bernstein (1995)، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن (75.7 %) من العينة قد تعرضوا لإساءة المعاملة، وكانت الإساءات المتعددة هي الأكثر شيوعًا بين أفراد العينة الإيجابية (61 %) يليها إساءة المعاملة الجسدية (26 %) ثم إساءة المعاملة الجنسية (9 %) وأخيراً إساءة المعاملة النفسية (4 %). وكانت درجات الإساءة الجسدية المتوسطة والإساءة الجنسية والنفسية البسيطة هم الأكثر انتشارًا بين أفراد العينة

الإيجابية على المقياس. ويبين الشكل التالي النسب المئوية لأنواع الإساءة من خلال عينة البحث:

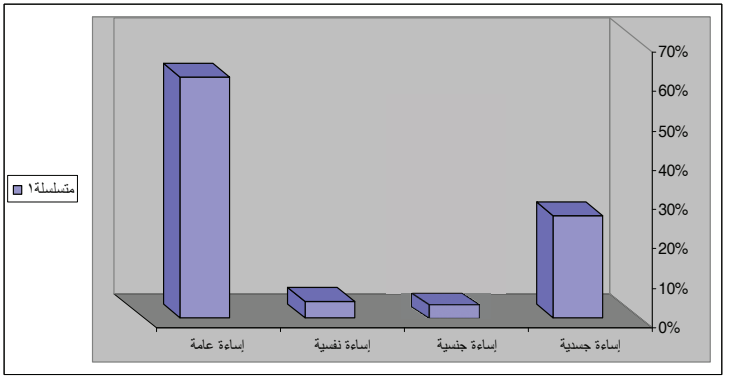

شكل (2)

رسم توضيحي للنسب المئوية لأنواع الإساءة

7. شخصية الضحية وسماته

ثمة علاقة بين الأنا والآخر على أنحاء شتى، فالآخر هو شرط أساسي لوجود الأنا، والمقصود بشخصية الضحية مثل المظهر (الملابس)، وحجم الجسم (الطول والوزن)، كما أن عمر الضحية من الأسباب الهامة إذ أن الضحية الصغير في السن لا يستطيع أن يدافع عن نفسه.

علاوة على أن الضحية غالبًا ما يميل إلى الوحدة وليس له أصدقاء، ولا يستطيع أن يكون حازمًا في معاملاته مع الآخرين، ويكون لديه نقص في المهارات الاجتماعية، وتدني في تقدير الذات، وقد يكون شكل الضحية جذابًا، أو يتميز ببعض صفات أنثوية فيكون عاملاً مشجعاً للبلطجة عليه

جنسيًا (Edwy, 2012). وهو ما يعرف بالنمط السلبي للسلوك، حيث يسمح الأشخاص لرغبات واحتياجات ومتطلبات الآخرين أن تطغى على حقوقهم واحتياجاتهم. وعمومًا الضحايا هم الذين يعززون سلوك البلطجية بعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم، أو إذعانهم لطلبات البلطجي بسهولة، ولذلك نجد أن غالبية الضحايا سلبيين وخاضعين.

8. تعاطي المخدرات

انتشرت ظاهرة تعاطي المخدرات بين المراهقين بشكل كبير، ومن أخطر المواد التي يتم تداولها بين المراهقين كانت عقاقير الهلوسة Hallucinogens، وهي تختلف عن غيرها من حيث تأثيرها على مستوى الوعي مؤدية إلى التغيير من الإحساس بالأشياء و إدراك العالم. ومن أهمها: الكوكايين، والمسكالين Mescaline، وسيلوسين Psilocyn، وكيتامين Ketamine والـLSD وهذا الأخير هو الأكثر انتشاراً، ومن أقوى المهلوسات المعروفة، و يتم امتصاصه بسرعة كبيرة و ينتشر إلى جميع أنسجة الجسم بما في ذلك المخ. هذا العقار له آثار إدراكية مباشرة كالتغيرات البصرية والسمعية، وبعضها نفسي كالتغير في الحالة المزاجية (مصطفى سويف، 1996، 126). والباركينول Parkinol، وهذا العقار يسمى «صراصير»؛ لأن تعاطيه يؤدي إلى هلاوس بصرية. و يصل تأثير هذه العقاقير على الوعي لدرجة فقدان الشخص لنفسه وهو يته فقدانًا كاملاً (عبد الستار إبراهيم، 1985، 104).

وقد لاحظ المؤلف استخدام الكثير منهم لعقار الكلونازيبام Colaunazebam، والإسم التجاري له أبتريل apetryl وهو عقار يستخدم لعلاج الصرع بوجه عام، و إدمانه منتشر بين المجرمين والبلطجية على وجه

الخصوص، حيث يقوم بعمل حالـة من الهياج لدى متعاطيه تجعله يقدم على أي فعـل إجرامي دون تـردد، وهو في حالة من الفقـدان المؤقت للذاكرة قد تسـتمر ليومين، كما أنه لا يستشـعر بأي آلام إذا تعـرض للضرب أو الجرح، وبعد أن يفيق من أثر العقار لا يتذكر أي شيء مما قام بفعله.

هذه العقاقير تحدث اضطرابًا في سـلوكات الشخص وأفكاره و إحساسه بالزمان والمكان وتقديره لهما، ولا يمكن على الإطلاق التنبؤ بما يمكن أن يفعله من سلوكات، كما أنها تتسبب في وجود هلاوس بصرية وسمعية، واضطراب في اسـتقبال الأشـياء بحجمها الطبيعي، فيرى الكلب الصغير يتخيله أسـدًا، و يسـمع همسًـا فيعتقد أنه صراخ، و إذا تحرك شـخص خطوة نحوه يظن أنه يهم بقتله فيبادر بأذيته.

إن تعاطـي الكحوليات والمـواد المخدرة لها دور أسـاسي لدى البلطجي، وذلك لأن هذه المواد تؤثر بطرق مختلفة على متعاطيها، كما أن سوء استخدام المخدرات سـواء داخل الأسرة أو في محيطها الخارجي يسـاهم بشـكل فعال في ظهور بدايات السـلوك العنيف الذي يتسـم به الفرد في المسـتقبل، حيث هنـاك درجة عالية من الكراهية للبيئـة المحيطة والمحبطة، وفي الوقت ذاته قد تكون هناك درجة من درجات كراهية الذات.

العلاقـة إذاً وثيقة ومتداخلـة بين كل من اضطراب الشـخصية وخاصة النمط المضـاد للمجتمع والذي يتسـم بالعنف والعدوان، واسـتخدام المواد المخـدرة، وقـد يرجع ذلـك إلى مـا يعانونه هـؤلاء الأفراد مـن اضطراب في التفاعل، والذي كانت بداياته منذ الطفولة الأولى نتيجة لأسـاليب وظروف تربوية غير سوية.

البلطجـة والمخدرات إذاً بينهما علاقة متداخلة ولا يمكن النظر إليها على أنها علاقة سببية حيث إن كلا المتغيرين يرتبط بالأخر، يؤثر فيه ويتأثر به في ذات الوقت، ولا شـك أن علاج أحدهما قد يسـاهم بشكل كبير في تحسن الآخر، فالسلوك العنيف لدى المدمن قد يكون ناتج عن تعاطيه لبعض المواد التـي تفقده القدرة على التحكم في السـلوك من خـلال تأثيرها على المراكز العصبية المسـئولة عن تلك العمليات، وبمجرد العلاج والاسـتمرار في التعافي يمكن أن نتنبأ بتحسن تلك السلوكات.

9. المستوى الاجتماعي الاقتصادي

الخلفيـة الاجتماعيـة والاقتصاديـة لـلأسرة أيضًـا لها تأثير على سـلوك البلطجـة، فالطالب البلطجي قد يهاجم ضحيتـه من زملائه بهدف الحصول على مصروفه الشـخصي، أو أدواته المدرسـية، أو حتى وجبة طعامه. فهناك علاقـة بين الفقر والانحراف، فالطفل الجائع من المحتمل أن يتحول إلى لص للحصول على أبسط حقوقه في الحياة.

فالأزمـات الاقتصاديـة والبطالـة والفقر تعتبر سـببًا رئيسـيًا في انتشـار جرائـم القتل والعنف والاصابة بعاهات مسـتديمة.. فقد أصبحت البلطجة هي الوسـيلة الوحيدة للتعبير عن الكبت وضغـوط الحياة اليومية، فانتشرت البلطجـة وأصبحت ظاهرة تطارد الناس في كل مكان، وقد حذرت دراسـة لمركز حوار للتنمية وحقوق الانسان من ارتفاع معدل جرائم الفقر والجوع، وأكدت عـلى ارتفاع معدلات الجريمة خلال العـام 2008 وحتي بداية العام 2009 خاصة التـي ارتكبت بدافع الفقر، كما بينت دراسـة بالمركز القومي

للبحوث الاجتماعية والجنائية ارتفاع أعداد المسجلين خطر في فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم من 18 إلى 30 عامًا.

ويعتقد المؤلف أن عدم احترام السلطة في المجتمع خاصة سلطة البيت والمدرسة، وتخبط المجتمع حول طرق التربية، وتخبطه في توجهاته الاقتصادية، وعدم التخطيط القومي الواضح، وغياب الهدف القومي الذي يمتص طاقات الشباب، ونقص ممارسة الديمقراطية الحقيقية، وزيادة القهر في المجتمع، وانهيار القيم الأخلاقية السائدة واهتزاز القدوة على المستوى الاجتماعي، والبطالة والإحباط الذي يعيشه الشباب، ونقص الاهتمام بالرياضة البدنية كوسيلة لإفراغ طاقاتهم، كل ذلك وغيره كثير من العوامل الاجتماعية التي تساعد على انتشار سلوكات البلطجة.

10. وسائل الإعلام

نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي السريع الذي اجتاح العالم، شهدت السنوات الأخيرة من القرن العشرين ظهور القنوات الفضائية وانتشارها على نطاق واسع، ما أدى إلى تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة تربطها شبكة اتصالات واحدة عبر الأقمار الصناعية، كما تنامت قوة الإعلام الفضائي وزادت المنافسة بين القنوات الفضائية على استقطاب مشاهديها وذلك من خلال ما تبثه إلى المشاهدين باختلاف مراحلهم العمرية، وتأثيرها على الأطفال والمراهقين نتيجة لاستعدادهم النفسي والتغيرات البيولوجية الموافقة لهذه الشريحة العمرية.

وإذا كان البث المرئي الفضائي يلعب دورًا إيجابيًا في تشكيل شخصية الطفل والمراهق، من خلال البرامج التربوية والإرشادية، فإنه أيضًا يعمل

على تغيير شخصيتهم من خلال البرامج التي لا تتفق مع ثقافة وتوجهات الأسر العربية، مما جعلهم يمرون بمرحلة اغتراب في عصر تتزاحم فيه هذه البرامج من مصادر مختلفة لها ثقافات مختلفة.

وتلعب وسائل الإعلام وخاصة التليفزيون في انتشار السلوك العدواني والعنف والبلطجة، فهناك علاقة بين السبب والنتيجة، بين التعرض للعنف والعدوان من خلال شاشات التليفزيون، وتطبيق ذلك العنف في الواقع كنوع من التوحد (Desouza & ribeiros, 2005). فقد أصبح من الطبيعي أن نشاهد في وسائل الإعلام المختلفة مشاهد عنف صارخة، سواء في نشرات الأخبار أو فيما تبثه القنوات الفضائية من أعمال درامية وحتى ألعاب الأطفال من أفلام الكارتون "والبلاي استيشن" أصبحت تنطوي على أشكال متعددة من العنف.

وقد أكدت الدراسات على ارتفاع نسبة مشاهدة أفلام العنف، حيث بلغت نسبتها 72 % ووجد أن الذكور أكثر من الإناث مشاهدة لتلك الأفلام، كما بينت الدراسة أن تقليد الشباب للبطل في هذه الأفلام وصلت إلى 97%، وأنه كلما قل المستوى الاجتماعي الاقتصادي والتعليمي زاد التقليد للبطل. كما بينت الدراسة أن الأفراد يشاهدون تلك الأفلام لتحقيق إشباعات نفسية لا يستطيعون تحقيقها في الواقع (على عاشور، 2008). كما بينت دراسة محمد عبد البديع (1998) وجود علاقة ارتباطية سلبية بين متابعة القنوات التلفزيونية الوافدة وبين التغيرات التي طرأت على الأسرة، كما وجدت علاقة بين مشاهدة تلك القنوات وارتفاع معدل العنف والجريمة في الأسرة المصرية.

لقد بدأ ظهور البلطجة على شاشات السينما والتلفيزيون عام 1960، حيث أُنتج فيلمان كان للبلطجي دور بارز في سياق أحداثهما، أولهما ملاك وشيطان، والآخر بداية ونهاية، ثم مرّت فترة الستينيات والسبعينيات بدون بلطجية يذكرون على شاشة السينما، فقد كان عصراً لأفلام البناء بعد الثورة، ثم أفلام النكسة، ثم أفلام الحرب، حتى أتت الثمانينيات بانفتاحها وخارطتها الجديدة للمستقبل والتنمية، ويسجل عام 1981 العرض الأول لفيلم المشبوه، والبلطجي في الفيلم لم يحمل السيوف والسلاسل ولم يربِ أسداً، كان يحمل مطواة، ثم توالت الأفلام التي تجسد شخصية البلطجي منذ التسعينات فكان فيلم الأمبراطور، إلى أن طالعتنا شاشات السينما ومن بعدها التليفزيون بمجموعة أفلام مثل إبراهيم الابيض، وتيتو، والألماني، وعبده موتة، يسرق فيها البلطجي ويطعن ويحرق ويقتل ويتاجر بالأسلحة والمخدرات، فما كان من الشباب إلا التقليد. وقد رأى المؤلف إعجاب كثير من الشباب ببعض الشخصيات التي ظهرت في أفلام تليفزيونية تحكي قصص حياة بعض البلطجية مثل فيلم يحكي قصة بلطجي ويحمل اسم «تيتو» قام بعض أصحاب المحلات بوضع هذا الإسم على محلاتهم، وكأنه بطل قومي!

11. التراخي الأمني

إن بعض رجال الأمن أنفسهم كانوا سببًا رئيسًا في انتشار سلوكات البلطجة، وذلك عن طريق تدعيم ذلك. فقد انتشر بين رجال الأمن في السنوات الأخيرة ظاهرة شاذة وهي استعانتهم بكثير من البلطجية في أعمال أمنية مما رسخ في ذهن البلطجي أنه على صواب، بل أن البعض منهم كان يعمل

مرشـدًا لدى أجهزة الأمن، بالإضافة إلى استعانة قيادات الأمن بالبلطجية في الانتخابات للتضييق على الجماهير و إهانتهم.

ومـا أن بـدأت ثـورة 25 يناير وظهر هذا السـلاح الخفي بغـزارة، عمت الفوضى الشـارع المـصري وخاصـة في الأحياء الشـعبية التي انتـشرت فيها سلوكات البلطجة انتشارًا واسعًا، والتي أدت إلى وقوع حوادث قتل و إصابات خطيرة، وسطو مسلح على المارة.

لقـد وصلـت البلطجة إلى حدودهـا القصوى ولم تعد ظاهـرة، فقد جاء في برنامج «الحياة اليوم» اسـتغاثة مدير مستشـفى المطرية التعليمي بوزير الداخلية لإنقاذ المستشـفى من البلطجية بعـد أن قام عدد منهم بقتل مصاب داخل المستشـفى وهـو يُعالج من قِبـل الأطباء. وقد تسـببت ظاهرة هجوم البلطجية على المستشـفيات في إغلاق قسـم الاسـتقبال والطوارئ بمستشفى المطريـة التعليمي، وجميع وحدات مستشـفى الاسـتقبال والطوارئ بقصر العيـني لحين توفير الحمايـة الأمنية الكافيـة للمرضى والعاملين بالمستشـفى. يقول «معتز أبو العزم» مدير مستشفى الاستقبال بالقصر العيني: إنه في اليوم الأول لشـهر إبريل حدثت مشـاجرة بين عائلتين بالأسلحة النارية وجاءوا ببعض المصابين إلى «القصر» لتلقي العلاج، إلا أنهم اقتحموا غرف الطوارئ وأكملوا المعركة داخل الاستقبال بالسيوف والسنج.

إن ظاهرة البلطجة في مصر ليسـت مرتبطة بحالـة الانفلات الأمني التي أعقبـت ثـورة يناير، فهي ظاهـرة وجدت من قبل في المجتمـع المصري و إن مـرت بتحولات وتطورات كثيرة، ربمـا كان أكثرها وضوحاً ما ارتبط بالفترة التالية على الثورة. وقد بينت دراسـة فادية أبو شـهبة (2010) أن نحو 50 %

مـن البلطجية تـتراوح أعمارهم بين 18 و 30 عامًا، وهـو ما يعني أنها ظاهرة تجـذب من هم في مرحلـة المراهقة والشـباب، كما بينت الدراسـة أن ثلثي البلطجيـة من الأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، أي أن هناك علاقة عكسية بين درجة التعليم والميل للقيام بأعمال البلطجة، وانتهت الدراسة إلى أن النشـاط الإجرامي الأساسي للعينة التي تمت دراستها هو السرقة بالإكراه بنسـبة 81 % ثـم الإتجار في المخدرات بنسـبة 72 % (أحمد محمـد أبو زيد، 2012، 29).

و يؤخذ على هذه الدراسـة أن العينة كانت من فئة المسجلين خطر، وهم مـن طائفـة من المجرمين تتألف منهـم غالبية البلطجية في مـصر، ولكنها لم تركز بالأساس على فئة البلطجية، حيث إن كل المسجلين خطر هم بلطجية، بينما ليس كل البلطجية مسجلين خطر.

محكات سلوكات البلطجة

البلطجة هي عنف موجه ضد الآخرين والممتلكات، يتميز بالاستمرار والتكرارية، وقد لاحظ المؤلف وجود ترادف بين سلوكات البلطجة من واقع التعريفات المختلفة وبين أعراض اضطراب المسلك أو التصرف Conduct disorder والذي يرى جمعة يوسف (2000، 253) أن اضطراب المسلك لا يرادف الاضطرابات السلوكية تمامًا، وإنما هو جزء منها، وأن هذا الاضطراب يمكن أن ينضم إلى مجموعة أخرى من الاضطرابات التي تماثلها من حيث الأعراض مثل اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع Antisocial personality disorder ويرى المؤلف أن مشكلة البلطجة لا ترادف الشخصية المعادية للمجتمع وإنما هي جزء منها وتماثلها في الأعراض.

وقد وردت اضطرابات التصرف في المراجعة العاشرة للتصنيف الدولي للأمراض ICD-10 في المحور F91 وبين الدليل أنها تتميز بنمط متكرر ومستمر من التصرف المستهين بالمجتمع أو العدواني. وقد يصل هذا السلوك في أشد حالاته بالنسبة للفرد إلى حد الانتهاكات الشديدة لما هو مناسب لعمر الطفل أو المراهق والمنتظر منه اجتماعيًا، وبالتالي فهو أشد من شقاوة الطفولة العادية أو تمرد المراهقة. أما الأفعال المتفرقة المستهينة بالمجتمع أو الإجرامية فليست في حد ذاتها مبرراً للتشخيص الذي يستدعي نمطًا من السلوك أكثر استمرارية. وقد تتطور اضطرابات التصرف في بعض الحالات إلى اضطرابات الشخصية المستهينة بالمجتمع (ICD-10, 2000: 280).

ويرى البعض أن محكَّي التكرار والشدة هما أهم محكين لاعتبار فعلًا

عدوانيًا أو مضطربًا، فإذا كانت مشاجرة واحدة في السنة ليست مشكلة، فإن مشاجرة في كل أسبوع تعتبر مشكلة حقيقية. ومن ثم فإن أشكال السلوك غير القابل للتحكم تقيّم من قبل المدرسين والآباء والزملاء على أنها غير مقبولة، وفي كثير من الأحيان يتم الحكم على المراهقين بأنهم يعانون من مشكلات تصرف من خلال السلطات القانونية.

ومن أمثلة السلوكات التي يستند إليها التشخيص: الإفراط في الشجار أو البلطجة، القسوة على أفراد آخرين أو على الحيوانات، تدمير الممتلكات، إشعال الحرائق، السرقة، الكذب المتكرر، الهروب من المدرسة ومن المنزل، سلوك تحدي استفزازي وعصيان شديد ومستمر. وأي من هذه المعايير إذا كان شديدًا يكفي للتشخيص، ولكن الأفعال المستهينة بالمجتمع المنفردة تكفي وحدها (ICD-10, 2000: 281).

وقد عرف الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع الصادر عن الجمعية الأمريكية للطب النفسي DSM-IV الاضطراب بأنه نموذج من السلوك تكراري ومستمر، تنتهك فيه حقوق الآخرين الأساسية أو القواعد الاجتماعية الأساسية المناسبة لسنّ الشخص أو القوانين، كما يتبدى ذلك بوجود ثلاثة (أو أكثر) من المعايير التالية في الـ12 شهراً الماضية، مع وجود معيار على الأقل في الأشهر الستة الماضية:

العدوان على الناس والحيوانات

1. عادة بلطجي على الآخرين أو يهددهم ويخيفهم.
2. عادة ما يبدأ عراكات جسدية physical fights.

3. استخدام سلاحًا يمكن أن يلحق أذى جسدي خطير للآخرين، مثل: عصا، زجاجة مكسورة، سكين، مسدس، إلخ.
4. القسوة جسديًا نحو الآخرين.
5. القسوة نحو الحيوانات.
6. السرقة في مواجهة الضحية (مثل السطو المسلح على المنازل، وتثبيت المارة في الطريق العام وسرقة ما معه، كما شاهدنا ذلك في غياب الشرطة بعد ثورة 25 يناير، حيث وصل الأمر إلى غلق شارع بأكمله لسرقة المارة تحت تهديد السنج والسيوف).
7. إجبار شخص بالقوة على ممارسة الجنس: وهو ما حدث في مدرسة مصر الجديدة الإعدادية للبنين، حيث استدرج ثلاثة تلاميذ بالصف الثالث الإعدادي تلميذاً بالصف الأول الإعدادي إلى بدروم أسفل المدرسة، وتناوبوا اغتصابه بالإكراه، وقد حرر بالواقعة المحضر رقم 17421 جنح مصر الجديدة.

تدمير الملكية

1. إشعال النار عمداً بقصد إلحاق الأذى (لاحظ إشعال النار في أضرحة المساجد، وما حدث في كنيسة إمبابة).
2. تدمير ملكية الآخرين عمداً (بوسيلة غير إشعال النار).

الخداع أو السرقة

1. تسلل إلى منزل أو مبنى أو سيارة شخص آخر.

2. غالباً ما يكذب للحصول على امتيازات.

3. سرقة أشياء ذات قيمة بدون مواجهة الضحية.

انتهاكات خطيرة للقواعد

1. غالبًا ما يمكث خارج المنزل ليلاً رغم منع الوالدين.

2. هرب من المنزل طوال الليل مرتين على الأقل وهو يعيش في كنف والديه (DSM-IV, 1994: 66-67).

و يندرج تحت اضطراب المسلك أو التصرف اضطراب التصرف غير المتوافق اجتماعيًا Unsocialized conduct disorder حيث السلوكات النموذجية تتضمن البلطجة وكثرة الشجار والابتزاز المالي والاعتداء العنيف، بالإضافة إلى درجات مفرطة من العصيان وعدم التعاون ومقاومة السلطة، ونوبات المزاج العصبي الشديد والغضب غير المسيطر عليه. وعادة ما ينتشر الاضطراب عبر عديد من المواقف، ولكن قد يكون أكثر وضوحًا في المدرسة (ICD-10, 2000: 283). والشكل التالي يوضح العلاقة بين سلوكات البلطجة والاضطراب النفسي.

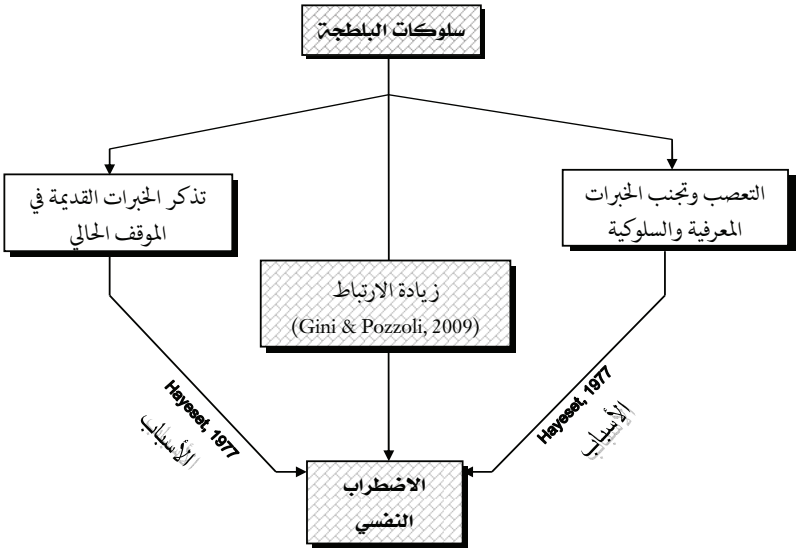

شكل (3)

العلاقة بين سلوكات البلطجة والاضطراب النفسي

فالبلطجة سلوك مشكل Problematic behavior يمثل خروجاً على النظام والقانون، ومع تزامن السلوك وتكراره يصبح عرض من أعراض اضطراب المسلك الذي يصبح في نهاية المطاف اضطراب الشخصية المستهينة بالمجتمع، وبحسب المدرسة السلوكية فإن العرض هو المرض، وبالتالي فإن البلطجة في حالة تكرارها وتزامنها تتحول إلى اضطراب المسلك أو التصرف، ثم تتحول إلى اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع أو ما يعرف بالسيكوباتية.